Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتصحيح ماليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتخيل ، ونوع من العلل والمعاريض والمعاذير ، ليخفى موضع الإشارة ، ويغمض موضوع التقصير .

وما أكثر ما يحتاج الكاتب إلى هذا الجنس عند اعتذاره من هزيمة أو حاجته إلى تغيير رسم ، أو رفع منزلة دنىء له فيه هوى ، أو حط منزلة شريف استحق ذلك إلى غير ذلك من عوارض الأمور ، وأعلى رتب البلاغة – كما يرى أبوهلال – أن يحتج للمذموم ، حتى يخرجه فى معرض المحمود ، وللمحمود حتى يصيره فى صورة المذموم .

ويدل مايقع فيه بعض الشعراء من التناقض على أن الأدب لايتقيد بالحقائق العقلية ولايتحراها ، وإن وقعت فى بعضه أحياناً .

ولو كان الأدب يعبر عن تلك الحقائق كما هى كان عليه أن يلتزم طريقاً وأحدا ، ويقيد الأدباء بأفكارٍ واحدة لايحيدون عنها . ولكنه بطبيعته يتناول الممكنات التى تحتمل الوجود كما تحتمل العدم ، وتكون أولا تكون ، ويصف أفعالها فى النفوس . وهى أفعال متضاربة بين الناس كما تتضارب فى داخل النفس الواحدة التى ترضى عن الشيء أحيانا كل الرضا ، وتسخط عليه ذاته ، أو تقل درجة رضاها عنه فى أحيان أخرى .

وليس ذلك شأن الحقائق الثابتة التى لاتتعدد ولا تتغير ، ولكن الذى يتعدد هو مشاعر الناس ، أو مشاعر الإنسان نحوها ، وعلى التعبير الأدبى وعلى القدرة البيانية لدى الكاتب أو الشاعر أن تكون مطاوعة فى كلا الحالين .

وذلك ما دعا قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) إلى أن ينبه فى كتابه « نقد الشعر » إلى أن مناقضة الشاعر نفسه فى قصيدتين أو كلمتين ، بأن يصف شيئاً واحداً وصفا حسنا ، ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا ، غير منكر عليه ولا معيب من فعله ، إذا أحسن المدح والذم .

بل إنه ليذهب إلى أكثر من ذلك حين يصرح بأن هذا الصنيع من الشاعر يدل على قوته فى صناعته واقتداره عليها . ووصف بهذا الاقتدار والقوة والتصرف الذى بدا فيه الإحسان والحذق أمرأ القيس ، لما وجد النقاد يعيبونه بالتناقض فى قوله :

فلو أنَّ ما أسعى لأدنَى معيشةٍ
كفانى ، ولم أطلبْ ، قليل من المالِ